



مركز الجزيرة للدراسات  
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES

تقارير

# طالبان أفغانستان: قصة اختفاء الزعيم وتحديات ما بعد الرحيل

د. أحمد موفق زيدان\*



Al Jazeera Centre for Studies

Tel: +974-44663454

jcforstudies@aljazeera.net

http://studies.aljazeera.net

31 أغسطس/آب 2015



أثار إعلان رحيل الملا عمر أسئلة حول زمن موته الحقيقي، وكيفية قيادته الحركة سياسياً وعسكرياً وهو مختبئ في المرحلة السابقة (الأوروبية)

### ملخص

تتحدث الورقة عن فترة قيادة الملا محمد عمر مؤسس حركة طالبان أفغانستان، الذي أعلنت وفاته أواخر يوليو/تموز الماضي، بينما تشير التقارير الخاصة ومعلومات الكاتب إلى وفاته قبل عامين ونصف العام داخل أفغانستان، وهو ما يشكّل لغزاً بحاجة إلى تفكيك؛ لمعرفة كيف قاد الملا عمر الحركة خلال سنوات اختفائه الممتدة لاثني عشر عاماً في ظل تعقّب عالمي استخباراتي غير مسبوق؟ وكيف فشل العالم في معرفة زمن وفاته إلا بعد عامين ونصف العام؟ وتُسبّر الورقة من خلال لقاءات مع مصادر طالبانية خاصة فضّلت حجب هويتها، كيف تواصل الملا عمر من مخبئه مع قيادات الحركة السياسيين والعسكريين خلال تلك الفترة.

وترصد سيناريوهات ما بعد الرحيل وإمكانية بقاء الحركة موحّدة، كما حصل بالنسبة لتنظيم القاعدة بعد رحيل زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، وانعكاسات ذلك على الوضع المحلي الأفغاني والإقليمي، وتحديداً باكستان، ثم تداعياته على الوضع الدولي.

### مقدمة

نجحت حركة طالبان أفغانستان خلال عامين ونصف تقريباً في خداع العالم كله بإخفاء قصة وفاة زعيمها الملا محمد عمر، الذي ظل متوارياً عن أعين العالم كله ومخابراته لاثني عشر عاماً، وبقدر نجاح الحركة الأفغانية الطالبانية في إخفاء سرّ كان ثمنه عشرات الملايين من الدولارات أو أكثر، نجحت في قيادة سفينة الحركة خلال هذه الفترة الانتقالية الحرجة المترامنة مع انسحاب قوات أكثر من 38 دولة جاءت لخلعها من السلطة عام 2001، ونجحت لاحقاً في انتخاب زعيم جديد للحركة هو الملا أختر محمد منصور، الذي أثبت سريعاً قدرته على لملمة جراح الحركة والتعافي السريع من خبر وفاة الملا.

خبر الوفاة قبل عامين ونصف تقريباً أكّده للمؤلف عدّة مصادر طالبانية رفيعة، وتحدثت عنه الاستخبارات الأفغانية، إضافة إلى وثائق نشرتها صحيفة الإندبندنت البريطانية، وهي عبارة عن رسائل سرية لطالبان تعود إلى تسعة أشهر من موعد الوفاة، وتحدثت عن وفاة الملا عمر (1).

## كيف قاد الملا عمر حركته من مخبئه؟

من أكبر العوامل التي ساعدت على قيادة الملا محمد عمر حركة طالبان الأفغانية في سنوات غيابه هو حالة الاستقرار بالنسبة للمقاتلين في سنوات حضوره أو غيابه؛ فالغالبية العظمى منهم لم تره شخصياً، كما لم يروا صورته، حيث كانت الصورة الوحيدة التي التقطت له جانبية حين مبايعة العلماء له عام 1996 بوصفه أميراً للمؤمنين؛ ولذلك ظلّ الملا عمر يدير الحركة بقوة الدفع التي اكتسبها خلال ذروة صعود الحركة ونجاحاتها العسكرية المتلاحقة والسريعة، وفترة حكمها. ويؤكد كل من التقينا بهم من قيادات الحركة الفاعلين والمقربين من الملا أنه لم يخرج طوال هذه السنوات من أفغانستان، وقد أقسم على عدم الخروج، ورغم معاناته من مرض الموت إلا أنه أصرَّ على البقاء في الداخل والدفن في داخل أفغانستان، وينقل أدهم للكاتب قولة الملا المشهورة: "لن أورت طالبان شيئاً يخجلون منه في المستقبل".

ووفقاً لقادة طالبان آخرين التقى بهم الكاتب، فإن الملا كان يُرسل رسائله الصوتية التوجيهية للحركة ولمجلس شوراها القيادي أو لنائبه أختار محمد منصور طوال فترة غيابه من خلال مرسال خاص، بالمقابل كان الأخير ينقل له أخبار الحركة والواقع على الأرض؛ ليبنى مواقفه وآراءه وسياساته.

ووفقاً لقيادي طالباني أفغاني تحدّث للكاتب مفضلاً حجب هويته، فإن السبب الرئيسي لعدم الإعلان عن وفاة الملا عمر في وقتها هو تزامنها مع انسحاب القوات الدولية من أفغانستان، وقد كان مجرد الإعلان يهدّد بالتأثير معنوياً على مقاتلي الحركة، قد تستغلّه قوات التحالف الدولي في توجيه ضربات عسكرية قاصمة للحركة؛ ولذا فضّلت قيادات الحركة إخفاء الخبر بعد أن اجتمعت يومها على انتخاب أختار محمد منصور الذي كان نائباً للملا عمر طوال فترة غيابه(2).

## إعلان الوفاة: الأسباب والتداعيات الداخلية والخارجية

أول من تحدّث عن وفاة الملا محمد عمر صفحة "فدائيان محاذ" على الفيس بوك، وهي تابعة للقائد نجيب الله المقرّب من منصور داد الله شقيق القائد العسكري للحركة سابقاً داد الله، وهي مجموعة مخالفة لحركة طالبان أفغانستان، وتحدّثت الحركة على صفحتها أن يظهر الملا عمر، وتبع ذلك تسريبات رئيس اللجنة العسكرية السابق للحركة عبد القيوم ذاكر(3).

ووفقاً لصحيفة النيويورك تايمز فقد تم التقاط بعض المكالمات والرسائل والإشارات بين قيادات طالبانية تتحدّث عن غياب الملا محمد عمر عن الساحة(4)، وكان مدير المخابرات المركزية الأميركية ليون بانيتا قد أبلغ الرئيس الباكستاني آصف زرداري عام 2011 أن معلومات الأجهزة الأميركية تفيد بأن الملا عمر مريض ويعالج في مشفى آغا خان بكراتشي، وهو ما نفته باكستان للمبعوث الأميركي في حينه(5).

ويشرح ميلت بريدين مدير عمليات السي آي إيه في باكستان وأفغانستان سابقاً، خلفية الفشل في معرفة خبر الوفاة لعامين ونصف العام بقوله: إن "هناك قضية أخرى غير صعوبة جمع المعلومات في تلك البقعة من العالم، والقضية أن الحقيقة مغلفة بسياقات، ولها أجنحة مختلفة، ولا نفهم منها شيئاً"(6). ومما يلفت النظر إعلان الحكومة الأفغانية عن طريق المتحدث الرسمي باسم جهاز مخابراتها، خبر الوفاة قبل يومين فقط من الجولة الثانية من المحادثات المقررة بينها وبين طالبان في إسلام آباد، وهو ما تسبّب في تأجيل طالبان للمحادثات، أعقبه تصعيد عسكري طالباني استهدف مواقع عسكرية أفغانية كان من بينها مبنى المخابرات الأفغانية الذي أعلن خبر الوفاة. وأدت الهجمات إلى سقوط أكثر من 57 قتيلًا وأكثر

من 300 جريح. وقد ألمحت الخبيرة البريطانية للشؤون الأفغانية ليز دوسيت -التي غطت الجهاد الأفغاني وما بعده لفترة طويلة، والمديعة حاليًا في البي بي سي- إلى أن الإعلان جاء بضغوط من المعسكر المعادي للتقارب مع باكستان(7).

إنَّ إعلان وفاة الملا عمر من كابول يدعم معسكر الصقور في كلا الطرفين، ويقلِّص فرص نجاح المفاوضات، فقد أراد الأمير الجديد من وراء التصعيد العسكري الطالباني الأخير تأكيد قوته على الأرض أولاً، وحشد الحركة خلفه ثانيًا، وهو ما أفقد الحكومة الأفغانية أو أمراء الحرب السابقين المبادرة في إضعاف الحركة والاستفادة من غياب الملا عمر وحالة الفوضى التي توقَّعوا وقوع الحركة فيها، فقد سارع بعض أمراء الحرب الشماليين السابقين لتوحيد صفوفهم وتحديدًا الزعيم الأوزبكي عبد الرشيد دوستم، والقائد الطاجيكي الميداني عطا محمد لتوحيد جهودهما في الشمال؛ قصد توجيه ضربة لمقاتلي الحركة، ومنعهم من اختراق الشمال غير البشتوني(8).

## طالبان الجديدة والإشكالات المتوقَّعة

ستظل العلاقة مع تنظيم القاعدة الإشكالية الأهم لحركة طالبان، وهي التي طبَّعت مسيرتها وربما تؤثر عليها في المرحلة المقبلة، فقد تحدت بسببها العالم، وكانت سببًا لخلعها من السلطة. وقد حسم المسألة أختر منصور أخيرًا بقبوله بيعه الزعيم الحالي للقاعدة أيمن الظواهري، وهو قرار فاجأ الكثير من المتابعين، لكون ذلك يُخرج الحركة عالميًا، ويخرج باكستان المقربة من الحركة، في حين سعت الحركة طوال الفترة الماضية إلى النأي عن القاعدة، إذ الطرفان يحتاج كل منهما إلى الآخر.

ويؤكد أيمن الظواهري من خلال البيعة على مرجعية تاريخية، تتمثل في كون أمير المؤمنين من طالبان وليس البغدادي، في حين يحتاج أختر منصور للبيعة لينزع الشرعية عن تنظيم الدولة الذي بدأ يشق طريقه في أفغانستان على حساب طالبان، وإن كان قد تراجع في الأسابيع الأخيرة. وبهذه البيعة يضمن منصور أمام مقاتلي الحركة أنه أمين وضامن إرث الملا عمر في حماية ابن لادن والقاعدة.

يدرك الأمير الجديد أن رصيد وأتباع تنظيم الدولة مستند إلى العنصر القتالي المهاجر، ولسحب البساط من تحت قدميه يتحتم أن يعزِّز أختر منصور علاقته مع القاعدة، وربما لاحقًا مع الجماعات الإسلامية الأوزبكية والتركمانية والطالبانية الباكستانية، حيث تتمثل الأولوية بالنسبة إليه في ترتيب أوراق الداخل وليس في المفاوضات، أو إقناع العالم الآخر بمرونته واعتداله.

وتدرك القاعدة وطالبان أن زخم القاعدة العالمي وتأثيره في السياسة الدولية واهتمام الأخيرة به، لم يعد كما كان عليه الأمر قبل سنوات، إذ اختطف تنظيم الدولة راية "إرهاب وإرهاب العالم الآن"، ولم تعد ورقة القاعدة في يد طالبان مهمَّة ومغرية لجذب الغرب في التعامل والتعاطي معها.

زاد تعيين أختر منصور لسراج الدين حقاني نائبًا له من مصاعب الحركة والباكستانيين مع الأميركيين الذين ينظرون إلى شبكة حقاني على أنها إرهابية، وقد جاء الرد الأميركي على ذلك بشكل مباشر باتهام باكستان بأنها لم تفعل ما يكفي لملاحقة شبكة حقاني(9).

تنتظر طالبان إيشكالية أخرى تتمثل في مدى قدرة أختار منصور على ملء فراغ الملا محمد عمر، حيث يعتمد تعزيز ذلك على عاملين اثنين: أولاً: قدرته على التعافي من الانقسامات الداخلية الطالبانية، وذلك بخلاف تقييمها فيما إذا كانت مؤثرة أم لا؟ وتتمثل القوة الرئيسية المعارضة للملا أختار في مولوي عبد الرزاق، وهو وزير الدفاع السابق، ومعه منصور داد الله شقيق المسؤول العسكري الراحل داد الله، ومعتصم آغا جان وزير المالية السابق قبل خلع حكومة الحركة من السلطة، إضافة إلى عبد المَنَّان شقيق الملا عمر، حيث يتمتع هذا المعسكر بنفوذ عسكري على الأرض. أمَّا العامل الثاني لقوة وزعامة منصور فيتمثل في قدرته على التعاطي مع تنظيم الدولة، وإن كانت المؤشرات تشير إلى تراجعها في معاقله بننجرهار شرقي أفغانستان، وانعزاله في مديريتين أو ثلاث مديريات، بعد أن كان تواجهه في أكثر من عشر مديريات.

تمثل العلاقة مع باكستان والقوى الإقليمية والدولية إحدى الإشكاليات الأساسية للحركة، فقد أوقفت طالبان أفغانستان المفاوضات برعاية باكستان، ونقلت مهام اللجنة السياسية بالكامل إلى مكتب الدوحة الذي يرأسه شير عباس ستانكزي بعد أن استقال محمد طيب آغا من منصبه، وهو ما سيخفف الضغوط الباكستانية على الحركة، ويضعف الورقة الطالبانية بيد المفاوضات الباكستاني؛ ولذا فإن قراءة الموقف الأميركي والهندي والإيراني في ما يتعلق بباكستان يُظهر خيطاً جامعاً في الأونة الأخيرة، وهو الضغط عليها بذريعة مكافحة "الإرهاب والتطرف والطائفية"، ويخدم كل واحد منها إحدى هذه الدول، وقد يخدم الثلاثة مجتمعين.

## سيناريوهات ما بعد الملا عمر

يصعب الجزم بسيناريو محدد لما بعد مرحلة الملا محمد عمر، فلا تزال تمثل طالبان لغزاً للكثيرين، سواء من حيث نشأتها أو من حيث إدارتها قبل وأثناء وبعد غياب الملا محمد عمر، وهو ما يجعل التكهن بالمستقبل صعباً للباحثين والمتخصصين، لاسيما أن الحركة مُقَلَّة في تصريحاتها ولقاءات مسؤوليها مع وسائل الإعلام، لكن من خلال المتابعة الحثيثة للحركة واللقاءات الخاصة مع قادتها يمكن رسم ثلاثة سيناريوهات محتملة لمستقبل الحركة في مرحلة ما بعد الملا محمد عمر.

**السيناريو الأول:** استمرار الحركة في سياستها التقليدية المحافظة تحت قيادة الملا أختار محمد منصور، ويعزز هذا السيناريو قيادة منصور للحركة طوال السنوات الماضية من غياب الملا محمد عمر، فهو الأخير والأعرف بالحركة وتعرجاتها ومشاكلها، باعتباره المتعامل اليومي مع الحركة منذ عام 2001، ويعزز ذلك بيعة علماء الحركة وقادتها له، حيث لم يُبد أي قائد عسكري أو جبهة عسكرية معارضتها لهذه البيعة. ولعلَّ بيعة الظواهري لمنصور تشير إلى قوته وسطوته، وبدون ذلك ما أقدم على مبايعة الحصان الخاسر.

وبعد مرور أكثر من شهر على إعلان خبر وفاة الملا عمر لم يقم المعارضون لإمارته ما يشير إلى قوتهم السياسية أو العسكرية أو الشعبية، وواصل منصور كسب قلوب وعقول أتباع الحركة بوقفه المحادثات والمفاوضات مع الحكومة الأفغانية، وتنفيذه عدة عمليات عسكرية أوقعت عشرات القتلى وأكثر من 300 جريح مستهدفة مراكز عسكرية حيوية في كابول؛ وذلك لإثبات قوته وتحكمه بالمقاتلين على الأرض، وكانت المفاجأة أخيراً بتلقيه بيعة رئيس الجامعة الحاقانية مولانا سمیع الحق، وهي مسألة شرعية مهمة للأمير الجديد(10).

**السيناريو الثاني:** يتمثل في إمكانية تشيبي الحركة الطالبانية، حيث تمتلك الشخصيات المعارضة لمنصور دعمًا ماليًا وعلاقات خارجية، إضافة إلى أن سحب صلاحيات اللجنة السياسية الطالبانية لصالح مكتب الحركة في الدوحة سيضعف من الضغوط الباكستانية عليها لصالح المعارضين، وهو ما قد يدفع باكستان إلى الانحياز للمعارضين، وتقديمهم على أنهم الحركة الشرعية والمخولة بالتفاوض مع الحكومة الأفغانية والخارج بشكل عام.

قد يدعم ما حدث لتنظيم القاعدة وحركة طالبان باكستان أصحاب هذا السيناريو، حيث تعرضت القاعدة للتشبي بعد رحيل مؤسسها أسامة بن لادن وبروز تنظيم الدولة "داعش" وتراجع قوة وسطوة القاعدة على أفرعها، مثلما حصل مع تنظيم طالبان باكستان بعد رحيل بيت الله محسود ثم حكيم الله محسود، ومبايعة بعض أجنحة الحركة لتنظيم الدولة وتفقت التنظيم، إلا أنه من الضروري الأخذ بالاعتبار أن لدى حركة طالبان أفغانستان إرثًا تنظيميًا وحزبيًا ممتدًا إلى أبعد من تاريخها، وهو امتداد للحركة الجهادية الأفغانية، إضافة إلى خبرة حكم وحاضنة اجتماعية قوية.

**السيناريو الثالث:** يتمثل في إمكانية تنامي ظاهرة تنظيم الدولة في أفغانستان، خاصة إذا تواصلت الخلافات داخل الحركة الطالبانية؛ مما سيفقد إمارة أختار منصور شرعتها، ويدفع مقاتلي الحركة إلى بيعه أبي بكر البغدادي أميرًا شرعيًا ما دام الأمير أختار منصور لم يحظ بالإجماع الأفغاني، ورغم حالة الضعف التي انتابت تنظيم الدولة أخيرًا بسبب مقتل قاداته في ضربات جوية للتحالف، إلا أنه لا يزال يتحكم ببعض المديرات شرقي أفغانستان ووسطها.

## الخلاصة

حركة طالبان أفغانستان أمام مفترق طرق، فقد اعتمدت الحركة التي قادتها شخصية غامضة ممثلة بزعيمها الراحل الملا محمد عمر سياسة الغموض والكاريزمية والشخصانية أكثر من اعتمادها على المؤسساتية، وقد يكون مفهومًا لقصر فترة ظهور الحركة والظروف التي مرت بها، لكنه تحد كبير أمام الزعيم الجديد للحركة، فهل سيكون نهجه امتدادًا لنهج سابقه، أم سيسعى لاكتساب شرعية جديدة؟ وفوق هذا كله، هل يستطيع الزعيم الجديد الملا أختار منصور التعافي أمام أتباعه والعالم من إخفائه لسر وفاة الملا محمد عمر، واستمرار تصدير الرسائل الموقعة باسمه على الرغم من وفاته؟

الحركة أمام تحد جديد -أيضًا- ممثلًا باستمرار علاقتها مع تنظيم القاعدة الذي كان السبب في خلعها من السلطة، لاسيما بعد إعلان زعيم القاعدة أيمن الظواهري البيعة للأمير الطالباني الجديد وقبول الأخير ذلك، وهو ما سيضعها أمام استحقاقات خارجية صعبة، لكن طالبان الآن معنوية -على ما يبدو- بتعزيز جبهتها الداخلية، وتجلى ذلك باستمرار علاقتها بالقاعدة؛ للحفاظ على مقاتليها من التحول إلى تنظيم الدولة، وسحب شرعية "أمير المؤمنين" البغدادي.

باكستان حليفة طالبان الوحيدة حتى الآن على الرغم من شكوك الطرفين بعضهما في بعض، فهي تواجه تصعيدًا هنديًا ضدها في ظل انشغال نصف جيشها تقريبًا على الجبهة مع أفغانستان، إضافة إلى انتهاء شهر العسل بينها وبين الحكم الأفغاني الجديد بزعمارة أشرف غني الذي اتهمها برعاية الإرهاب، حيث ترى الأوساط الباكستانية أن ذلك قد جاء بإشارة أو تشجيع إقليمي.

\* د. أحمد موفق زيدان: متخصص في الشأن الباكستاني والأفغاني.

#### المصادر

- 1- بلال سروري: رسائل خاصة تكشف بوضوح عن وفاة الملا عمر وطالبان أفغانستان تناضل للإبقاء على وحدتها في ظل وفاة زعيمها، الإندبندنت البريطانية، الصادرة بتاريخ 31 من يوليو/تموز 2015، انظر الرابط:  
<http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/mullah-omar-dead-afghan-taliban-struggles-to-maintain-unity-in-the-wake-of-leaders-death-as-exclusively-seen-letters-apparently-reveal-10428847.htm>
- 2- لقاء الكاتب مع قيادي في حركة طالبان فضّل عدم كشف هويته، بتاريخ 10 من أغسطس/آب 2015.
- 3- رحيم الله يوسف زي: وسط غموض حول مصير الملا محمد عمر، الصراع على السلطة يتسع في حركة طالبان، صحيفة ذي نيوز الصادرة في إسلام آباد، بتاريخ 27 من يوليو/تموز 2015، انظر الرابط:  
<http://www.thenews.com.pk/Todays-News-13-38799-Amid-uncertainty-over-Mulla-Omars-fate>
- 4- ماثيو روزنبرغ: حياة الملا عمر تنتهي بنهاية أقل وضوحاً، النيويورك تايمز، الصادرة بتاريخ 30 من يوليو/تموز 2015:  
[http://www.nytimes.com/2015/07/31/us/politics/mullah-muhammad-omars-life-ends-with-little-clarity.html?hpw&rref=world&action=click&pgtype=Homepage&module=well-region&region=bottom-well&WT.nav=bottom-well&\\_r=0](http://www.nytimes.com/2015/07/31/us/politics/mullah-muhammad-omars-life-ends-with-little-clarity.html?hpw&rref=world&action=click&pgtype=Homepage&module=well-region&region=bottom-well&WT.nav=bottom-well&_r=0)
- 5- غريغ ميلر: قصة القيادي الطالباني عمر تعكس أجدات متناقضة، انظر الواشنطن بوست الصادرة بتاريخ 30 من يوليو/تموز 2015:  
[https://www.washingtonpost.com/world/national-security/us-intelligence-had-suspected-that-mohammad-omar-was-ill-in-pakistan/2015/07/30/9eed3b84-36e1-11e5-9d0f-7865a67390ee\\_story.html](https://www.washingtonpost.com/world/national-security/us-intelligence-had-suspected-that-mohammad-omar-was-ill-in-pakistan/2015/07/30/9eed3b84-36e1-11e5-9d0f-7865a67390ee_story.html)
- 6- المصدر السابق.
- 7- ليز دوسيت: الأسطورة والحركة، موقع البي بي سي، 29 من يوليو/تموز 2015، انظر الموقع:  
<http://www.bbc.com/news/world-asia-33701790>
- 8- ناثان هوج: المتنافسون السياسيون الأفغان يتحدون في مواجهة ميليشيات طالبان، صحيفة الـ وول ستريت جورنال، الصادرة بتاريخ 25 من يوليو/تموز 2015:  
<http://www.wsj.com/articles/afghan-political-rivals-join-forces-to-fight-militants-1435236589>
- 9- تقرير إخباري، أميركا تصف التحرك الباكستاني ضد حقاني بأنه غير كافٍ، صحيفة الدون الباكستانية، الصادرة في إسلام آباد بتاريخ 20 من أغسطس/آب 2015:  
<http://www.dawn.com/news/1201551/us-terms-action-against-haqani-network-inadequate>
- 10- تقرير إخباري، سميع الحق يدعم أمير طالبان الجديد، انظر الدون بتاريخ 6 من أغسطس/آب 2015:  
<http://www.dawn.com/news/1198748>

انتهى